﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام: 41]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمّا كان استفهامُ الإنكارِ في قوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ من الآيةِ السّابقة، بمعنى: النَّفْي، كأنَّه قيل: لا تَدْعوا غيرَهُ؛ عَطَفَ عليه قولَه: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾[1]، ليكون جوابًا كاشفًا عن حقيقةِ فعلِهم عند الاضطرار ووقوعِ الأخطار.

عندما يَحيقُ بالمشركين عذابُ الله يلجأُون إليه ليكشفَ عنهم ما أصابهم

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَيَكْشِفُ﴾: الكَشْفُ: رَفْعُ الغِطاءِ والحِجابِ، وأَصْلُه: إزالَةُ شَيْءٍ عن شَيْءٍ وتَعْرِيَتُهُ مِنْهُ، ويأْتي بمعنى الإظْهارِ والبَيانِ، يُقالُ: كَشَفَتِ المَرْأَةُ عن وجْهِها، أي: أَظْهَرَتْه وبَيَّنَتْه، ومِنْ مَعانيه أيضًا: الإبْرازُ، والتَّفْسيرُ[2].

2) ﴿وَتَنسَوْنَ﴾: النِّسيانُ: جَهْلُ الإنْسانِ بما كانَ يَعْلَمُهُ ضَرورَةً مَعَ عِلْمِهِ بأُمورٍ كَثيرَةٍ لا بآفَةٍ، أو هوَ عَدَمُ ذِكْرِ ما قَدْ كانَ مَذْكورًا، وهو ضِدُّ الذِّكر والحِفْظِ، ومِن مَعانيه: الغَفْلَةُ والسَّهْوُ والتَّرْكُ[3].

❁ المَعْنَى الإجْمَاليُّ:

المُكذّب مُضْطرٌ للّجوء إلى الله وحده عند المِحَن

استرسالاً في تقرير الحُجّة على المشركين يأتي الجواب على لسان المقرّر يقول: إنّكم أيُّها المشركون المكذّبون لا يُمكِنكم أن

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/112، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/132.
(2) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللغة، والأزهريّ، تهذيب اللغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (كشف).
(3) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللغة: (نسي).

تلجأوا لغير الله تعالى إن أتاكم عذابُه، حتّى إنّكم تتوجّهون إلى الله بالدعاء في ساعات البلاء، وتخُصّونَه بالتّضرُّعِ؛ ليكشفَ عنكم ما نَزَلَ بكم من عذاب الدّنيا، فيرفع عنكم البلاء إن شاء أن يرفَعَه، تفضّلًا منه، بلْ إنّكم تَتْركون أصنامكم حين نزول البلاء لعلمكم أنّها لا تضرُّ ولا تَنْفَع[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

سِرُّ الإضراب بالحرف ﴿ بَلْ ﴾، عنِ السُّؤال بالجواب عنه:

﴿ بَلْ ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ حرف إضراب وانتقال إلى معنى آخر دون أن يبطل ما تقدَّم؛ لأنَّ هذا لا يكون في كلام الله تعالى، فهو حرف جيء به للحكم على دعوة غير الله بالبطلان، أي: فأنا أُجيب عنكم بأنَّكم لا تدعون إلّا الله، ووجه تَولّي الجواب عنهم مِن السّائل نفسِه أنَّ هذا الجواب لمّا كان لا يسعُ المسؤولَ إلّا إقرارُه؛ صحَّ أن يتولَّى السّائلُ الجوابَ عنه[2].

لا يسَعُ المسؤول أنْ يُجيبَ بغير هذا الجوابِ

فائدةُ تقديمِ المفعولِ ﴿ إِيَّاهُ ﴾، على الفعل ﴿ تَدْعُونَ ﴾:

قدَّم سبحانه المفعولَ على الفعل في قوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾، لإفادة الاختصاص والقَصْر، وهو قصرُ صفةٍ على موصوف قصرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا، أي: لا تدْعون إلّا إيّاه؛ لأنَّ دعاءَهم اللهَ عند الشَّدائد دون سواه حقيقةٌ يشهدُ الواقعُ بها، وكذلك يدلُّ على أنَّ المشركين مهما بلغ ضلالُهم؛ فإنَّهم عند الشَّدائد يتَّجهون بتفكيرهم إلى القوَّة الحقيقيَّة المُنجية الخالقةِ لهذا الكون[3].

تتوجّهُ القلوبُ إلى الله تعالى، عند نزولِ الضُّرّ والبلاء

سببُ ذكر ضميرِ الجلالة ﴿ إِيَّاهُ ﴾:

في قوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾: ذكرتِ الآية المفعولَ به ضميرًا

(1) الدّرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 3/285.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/224، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 5/2494.
(3) البيضاوي، أسرار التَّأويل: 2/161، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/224 - 225، وطنطاوي، الوسيط: 5/73.

بدلَ الاسم الظّاهرِ وهو لفظُ الجلالةِ، كما في قولِه تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ [الزمر: 66]، لنُكتةٍ إيحائيّةٍ وهي تلويحُ الخطاب بما استقرَّ في نفوس المخاطَبين، أي: الذي تعرفونه مُنجيًا مُنقذًا على الحقيقة، والإضمارُ هنا أبلغُ منَ التَّصريح، لاسيَّما أنَّه صُرِّح باسمه سبحانه في الآية السّابقة.

الإضمارُ أبلغُ منَ الإظهار، في مخاطَبة النُّفوسِ المتكبّرةِ

غرضُ حذفِ مفعولِ الفعل ﴿تَدۡعُونَ﴾:

حُذِف مَفْعولُ: ﴿تَدۡعُونَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ﴾، وهوَ ضَميرُ اسْمِ الجَلالَةِ، أَيْ: ما تَدْعونَهُ[1] إلى كشْفِه، وغرضُ الحذفِ تمحيضُ النَّظرِ للدُّعاءِ، وهو ما يُصوِّرُ شدَّةَ احتياجهم بسبب كبيرِ الاضطرار، وللعلمِ بمن يُدعى حينئذٍ؛ إذ هو الواحدُ الأحدُ في القدرةِ على الاستجابةِ دون سواه.

تفرُّدُ الله تعالى بالإجابة، هو ما تقرُّ به نفوسُ المخاطَبين

دلالة العطف بحرف الفاء في ﴿فَيَكۡشِفُ﴾:

دلَّت الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ﴾ على ترتيب فعل الكشفِ على الدُّعاء وسرعة الإجابة، وهذا إطماعٌ في رحمَةِ اللهِ؛ لعلَّهم يَتَذكَّرونَ[2].

تطميعُهم بدوام الالتجاء

بلاغةُ استعمالِ فعلِ (يكشف)، دون ما يُقاربه في المعنى:

في قوله تعالى: ﴿فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ﴾ جاء التَّعبيرُ بالفعل (يكشف) لما يتضمَّنه من قوة معنى لا تتوافر في مرادفاته، فمعنى (يكشف): يُزيل الضُّرَّ، فكأنَّ الشِّدَّة غطاءٌ غامرٌ محيطٌ، وإزالتُه: كشفُه، ففي هذا التَّعبير استعارةٌ فيها تشبيهُ حال إزالةِ الشَّرِّ، بحال كشفِ غطاءٍ غامرٍ مُؤلم، بجامع إزالةِ الضُّرّ في كلٍّ، وإظهارِ السَّلامة[3]، وفي هذه الاستعارةِ تصويرُ إحاطة الضُّرِّ بهم، ويأسِهم من دفعِه بأنفسِهم.

تصويرُ إحاطةِ الضُّرِّ، وبيان اليأس من دفعِه

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتنوير: 7/225.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتنوير: 7/224 - 225، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 5/2494.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2495، وطنطاويّ، الوسيط: 5/73.

سِرُّ تقديمِ ﴿فَيَكْشِفُ﴾ على ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾:

نسيانُ الآلهةِ المزعومةِ في مواضعِ الاضطرارِ، دليلُ عقيدةِ الاجترار

عطف قوله: ﴿فَيَكْشِفُ﴾ على ﴿تَدْعُونَ﴾، وقد قدَّم الكشفَ - مع تأخره - على النِّسيان، وعلى الدُّعاء أيضًا؛ ولو نُظِم الكلامُ في غير القرآن؛ لقيل: بل تنسون ما تشركون، وإيّاه تدعون، فيكشفُ ما تدعون إليه إن شاء؛ والسِّرُّ في هذا التَّقديم؛ إظهارُ كمالِ العنايةِ بشأنِ الكَشْفِ والإيذان بترتُّبه على الدّعاء خاصّةً، وفيه إطماعٌ في رحمة الله لعلّهم يتذكَّرون[1]، فهو توجيهُ الأنظارِ إلى المعتبرِ في الدُّعاءِ على الحقيقةِ، وبيانِ حال الآلهةِ، وأنَّها في موضعِ نسيانٍ وتناسٍ في النَّفسِ والذِّكر اللَّفظيِّ.

نكتةُ التَّعبير بـ ﴿مَا﴾، بدلًا منَ الاسم الموصول الظَّاهرِ:

اشتمال السّياق على كلِّ مدعوٍّ في دفع الضُّرِّ من دون الله تعالى

عبَّر عن آلهتهم بـ ﴿مَا﴾ الَّتي هي لغير العاقل؛ تحقيرًا للمشركين، وقيل: هي على حذف مضافٍ، والتَّقديرُ: وتنسون دعاءَ ما تشركون، أو ﴿مَا﴾ مصدريَّةٌ، والتَّقديرُ: وتنسون الإشراكَ[2]، والصَّحيحُ: أنَّها موصوليَّةٌ جيءَ بها لتعمَّ كلَّ ما أشركوه مع الله تعالى في دفعِ الضُّرِّ، ولتنزيلِها منزلةَ غيرِ العاقل، بغرضِ تحقيرِ ذلك العقلِ الذي يدعو من لا يعقلُ الأمرَ، ولا يفهم السِّرَّ.

بلاغةُ استعمالِ حرف (إلى)، في قوله: ﴿تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾:

تحقيقُ مقامِ الإخلاص عند الدّعاء، ضرورة للقبول

عُدّيَ الفعلُ ﴿تَدْعُونَ﴾ بحرف الانتهاءِ (إلى) في قولِه جلّ شأنُه: ﴿تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾: لتضمُّنِه معنى التّضرّعِ، والمعنى: فيكشفُ سبحانه ما تدعون مُتضرّعين إليه، وفائدةُ التّضمينِ الإيجازُ وتوسيعُ الدّلالةِ، حيث تضمّنتِ العبارةُ القرآنيّةُ معنَيَيْن باستعمالِ فعلٍ واحدٍ.

غرضُ قيدِ ﴿إِن شَآءَ﴾:

غرضُ القيدِ: ﴿إِن شَآءَ﴾ الاستثناءُ؛ لأنَّ المحنةَ إذا أظلَّت عليهم؛

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 3/133، وابن عاشور، التَّحرير والتنوير: 7/225.
(2) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 8/146.

فدعَوْه إلى كشفها وصرفِها، فهو لا إله إلّا هو كاشفٌ إن شاء، ومصيبٌ إن شاء لا يجبُ عليه شيء، وإنَّما قيَّد كشف الضُّرّ عنهم بالمشيئة؛ لأنَّه إطماعٌ لا وعدٌ[1].

كـشـفُ الـضُّـرِّ إطماعٌ لا وعدٌ

دلالة حذفِ جواب الشّرط ﴿إِن شَآءَ﴾:

حُذفَ جوابُ الشَّرطِ في قولِه تعالى: ﴿إِن شَآءَ﴾؛ لفهم المعنى ودلالة ما قبله عليه، أي: إن شاءَ أن يكشف الضُّرَّ كشَفَه؛ لأنَّه سبحانه لا يُسألُ عمّا يَفعل، وذلك في عذاب الدّنيا، وأمّا إتيان السّاعة؛ فلا يكشفُ إلّا أن يُراد بإتيانها ما يحصل معها منَ القوارع والمصائب من خسفٍ وشِبْهِه، فيجوز كشفُه عن بعض النّاس، وممّا كشفه اللّه عنهم من عذاب الدُّنيا عذابُ الجوع الَّذي في قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الدخان: 10 - 11][2].

اللّه كاشفُ كُربِ الدّنيا والآخرة إن شاءَ، لا سلطانَ لأحدٍ معه

دقّةُ التّعبير بفعل النّسيان: ﴿تَنسَوۡنَ﴾:

ذهب الشِّهاب في حاشيته إلى أنَّ قوله: ﴿وَتَنسَوۡنَ﴾ يحتمل معنيين، الأول: مجازٌ عنِ التَّرك، والثّاني: أنَّه لشِدَّة الهول ينسونَهم، فيكونُ حقيقةً، ولا يلزمُ أن يُنسى اللّه؛ لأنَّ المعتاد فيها أن يُلهَجَ بذكره ويُنسى ما سواه[3]، وإطلاقُ النِّسيان على التَّرك شائعٌ في كلام العرب، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾ [الجاثية: 34][4]، فالنِّسيانُ هنا بمعنى: التَّرك، لا بمعنى: الغفلةِ، وهو أقوى في التَّبكيت[5].

النِّسيانُ يرادُ به هنا التَّرك، وهو في اللّغة عدم التّذكّر

إضافةً إلى أنَّ التَّعبير بـ ﴿وَتَنسَوۡنَ﴾ فيه إشارةٌ إلى أنَّ النِّسيان

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/291، وابن عاشور، التحرير التنوير: 7/225.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتنوير: 7/225، وطنطاوي، الوسيط: 5/73.
(3) الشهاب، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: 4/59، والآلوسي، روح المعاني: 4/142.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/293.
(5) الواحدي، التفسير البسيط: 14/88، والبروسوي، روح البيان: 3/29.

مُؤقَّتٌ، بخلاف التَّرك؛ فهو كُلّيٌّ، أو الكفرُ، ففيه كشفٌ للنَّفس البشريةِ وما يعتريها من أحوالٍ مؤقَّتةٍ تستجيبُ فيها لفطرتها، فهو دليلٌ على أنَّ القومَ لم يعبدوا الآلهةَ إلّا عن مصلحة مؤقَّتةٍ، ومتابعةٍ للآباءِ جهلًا وحماقةً.

نكتةُ المضارع، في قوله: ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾:

ترك الآلهةِ عند وقوع المصائبِ، دليلُ الغفلة قبل حصولها

جاءت الفاصلةُ هنا ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ جملةً فعليَّةً، معطوفةً على ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾، والجملةُ الفعليَّةُ تفيدُ التَّجدُّدَ والتَّكرارَ، أي: نسيانُكم هذا مُتجدِّدٌ ومُتكرِّرٌ كلّما وقعتُمْ في الشِّدة، أو عرضَ لكم العذابُ، وفي قوله: ﴿وَتَنسَوْنَ﴾ إمّا أن يكون المرادُ النِّسيانَ الحقيقيَّ، أي: الغفلةُ عنِ الأصنام حين يرون العذابَ، وينشغلون بالَّذي أَرسل العذابَ، فينسَوْن الأصنامَ الَّتي اعتادوا أن يَستشفعوا بها، وإمّا أن يكون النِّسيانُ مجازيًّا في التَّرك والإعراض، أي: وتُعرضون عنِ الأصنام، لعلَّهم في تلك اللَّحظة يستدلّون فيها على أنَّ غيرَ الله لا يكشفُ عنهم شيئًا من هذا العذاب.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»